المحاضرة الثالثة :

التنظيم العسكري للجزائر خلال العهد العثماني

مقدمة

I. تنظيم الجيش

II. تنظيم الرتب

أولا: الجيش الانكشاري

ثانيا :الجيش البحري (رياس البحر)

التنظيم العسكـــــري للجـزائر خلال العـهد العثماني

المقدمة

تشكل المؤسسة العسكرية بفرعيها البري والبحري العمود الفقري الذي يقوم عليه الحكم العثماني بالجزائر، وأهم قوة لتثبيت أركان الدولة ومواجهة الأخطار

الخارجية وعامل منع وأملا باستتباب الامن الداخلي، خاصة وإن عرفنا أن التشكيلات العسكرية لاتختلف في تنظيمها لما عليه من مقرالسلطنة باسطنبول، لما تتمتع به من كفاءة حربية وتنظيم دقيق وصارم، فأصبحت الجزائر من خلالها سيدة البحرالمتوسط وقلعة الجهاد في مجابهة المد الصليبي في شمال إفريقيا.

I. تنظيم الجيش

يتشكل الجيش العثماني بالجزائر من قسمين قسم يمثله الجيش النظامي، وأخر غير نظامي يتألف من أفراد قبائل المخزن وزواوةو الكراغلة، ويتفرع القسم الأول إلى **ثلاث فرق** هي :

١- **فرقة المشاة:** وهي الأكبر عددا وتضم معظم المجندين للخدمة العسكرية، وقد أطلقعليها اسم " انكشارية" أو"الينجرية "وتقسم إلى كتائب وفرق ووحدات وفصائل

٢- **الفرسان:** (الخيالة) تتكون من الكراغلة، وقبائل العرب.

٣- **البحارة:** وهم نخبة من العزاب""زبنطوط" يتكونون غالبا من ألف رجل فما فوق وأغلبهم من المسيحيين المعتنقين الإسلام

٤-**المدفعيون:** وهم الذين يقومون بتلقيم المدافع، وإطلاق النار على العدو وقد تطورتنوعية المدافع المستعملة في عهد الدايات وكانت خدمة الجيش مرتبة على **ثلاث مراحل سنويا:**

- **العام الأول:** لحماية بلدان المدنية، وهي النوبة.
- **العام الثاني:** لخدمة المعسكرات أو المشاركة في الحملات العسكرية لجمع الضرائب،أو تأديب العصاة.
- **العام الثالث:** وهي سنة للراحة وتكون كلها تحت رئاسة الأغا والكاهية والبولوكباشي والأوضاباشي والوكيل.

II. تنظيم الرتب :

تنقسم أوجاق الجزائر إلى عدد من الكتائب والأورطة التي يبلغ عددها 3424والتي تنقسم بدورها إلى عدد من السفرات والسفرة هي الفرقة المشكلة في الغالب من 16جندي، منهم وكيل الحرج والمقتصد والأتشي الطباخ.ويتم التدرج في الرتب العسكرية على مبدأ المساواة والأقدمية من رتبة اليولداش البسيطإلى أعلى منصب وهو الأغا ،وكانت الخدمة في كل رتبة تقتضي ثلاث سنوات تقضى بالتسلسل التالي :

- يولداش: الجندي البسيط ،وهي كلمة تركية مركبة من كلمتين، يول تعني الطريق، وداش تعني الرفيق أي رفيق الطريق وهي أدنى رتبة في الجيش الإنكشاري وكان
- اليولداش يمثلون الأغلبية العظمى من أفراد الجيش النظامي.
- أصكييولداش: أي الجندي القديم الذي يعمل ثلاث سنوات.

أولا: الجيش الانكشاري

أ- **مهام الجيش الانكشاري**

تتمثل مهام الجيش في الدفاع عن حدود البلاد من الأخطار الخارجية، والسهر على ضمان الاستقرار الداخلي بإخماد حركات التمرد والعصيان المدني، كما كان له دور اقتصادي هام يتمثل في جمع الضرائب خاصة في المناطق الريفية فقد كانت المحلات توجه لضمان تحصيل الضرائب في البياليك. إلى جانب ذلك نجد النوبة التي هي فرق من الجيش الإنكشاري تقوم بحراسة الحصون والقلاع والأبراج وفي نهاية الحياة العملية للإنكشارية يتحول في أغلب الأحيان إلى الأعمال الإدارية التي قد يصل من خلالها إلى أعلى المناصب السياسية في الدولة[i] وبعدما كان الجيش مهمته الأساسية في العهود الأولى هي الدفاع عن البلاد والمحافظة على الأمن بوازع ديني بحت أصبح منبعا للفوضى والقلق.

ب- **الثكنات العسكرية:**

هي المؤسسة التي تأوي الجنود ، فكل الثكنات أو القشلة كانت توجد بمدينة الجزائر فقط، أما في المدن الأخرى فإنها عبارة عن أبراج تقيم بها الحاميات العسكرية، ويكون عدد الأجناد بها يتجاوز مائة جندي،ولدى وصول الجنود إلى الجزائر يوزعون على مختلف ثكنات المدينة، يكونون تحت إشراف قادتهم على غرف تحمل رقما، في مساكن خاصة بهم واسعة ونظيفة، وصغار السن من بينهم لم يكن يسمح لهم بالخروج باستثناء أيام الخميس تحت مراقبة الحرس، وكان الجنود العزاب يعيشون في الثكنات مع إمام يؤدي الصلاة بالجنود في أوقات معلومة وكأنه الأخر يعيش في الثكنة ماعدا المتزوجون منهم يعيشون في بيوتهم، وتوجد بمدينة الجزائر سبع قشلات (ثكنات) وهي:قشلة باب عزون وقشلة صالح باشا وقشلة علي باشا والتي تعرف بقشلة دارالخراطين وقشلة (إسكي) والقشلة الجديدة يكي، والغالب على الثكنات بالجزائر النمط الهندسي المعماري ذي الطابع العثماني المكون من طابقين أرضي وعلوي، تتوسط الثكنة العديد من الأسبلة المائية.

ج- الكراغلة

تكونت تلك الشريحة نتيجة زواج أفراد من الجيش الإنكشاري بالنساء الجزائريات، وظهرت تلك الطبقة للمرة الأولى في المدن التي تمركزت بها الحاميات العسكرية، وقد تكاثر عدد أفراد الكراغلة حتى بلغ في نهاية ق١٨م في مدينة الجزائر حوالي 600نسمة وبلغ عددهم في مدينة تلمسان حوالي 500شخص، ورغم اشتراك الكراغلة مع الأتراك في الأصل إلا أنهم أبعدوا عن المهام الكبرى خوفا من سيطرتهم على شؤون البلاد، بحكم قرابتهم من الأهالي وارتباطهم بالبلاد، لذلك كانوا يثيرون الاعتراضات والمشاكل بسبب حرمانهم من امتيازات الأوجاق، وقد قاموا بعدة ثورات وصدر حق بنفيهم من المدينة الجزائر إثر قيامهم بحركة التمرد في النصف الأول

من ق١٧م إلا أنهم دخلوا في صفوف الأوجاق عندما ضعفت حركة التجنيد من أراضي السلطنة

هـ- قبائل المخزن:

يعود تكوين قبائل المخزن إلى عهد خير الدين الذي حاول أن يجعل له قوات عسكرية ثابتة يستطيع أن يعتمد عليها والتي كان لها نفوذ على المنطقة، وكانت مهمتها الدفاع عن حدود الإيالة ، والمساهمة في استتباب الأمن الداخلي، كما كانت تمتاز بالكفاءة الحربية، ومقابل هذا العمل كان لقبائل المخزن امتيازات منها: أنهم معفون من الضرائب اللّازمة(التي يلزم بها غيرها ، بيد أنهم يخدمون الدولة ببضع الخدمات العسكرية والإدارية، من حيث جمع الضرائب، ولعل الطبيعة الاصطناعية لعساكر الخزن بالجزائر في العهد العثماني تتأكد من خلال التسميات الجديدة والألقاب التي استمدتها من خدماتها للمخزن التركي مثل مخزن الزواتنة الذين سموا بذلك لاستقرارهم على ضفتي وادي الزيتون جنوب شرقي الجزائر العاصمة، و مخزن المكاحلية الذي عرف بذلك لاستخدام فرسانهم للمكحلة وهي سلاح ناري، واتخذوا أيضا الدوائر وهم فرسان من العرب "خيالة" والزمول وكان زمالة قائد يسمى أغا العرب ويقول عنهم محمد بن ميمون الجزائري في قوله:)أما الزمالة، فهم أناس مشردين من أوطانهم إلى الحدود الجزائرية فسمح لهم الباشا بالمكوث هناك شريطة أن يمدوه بمشاة الجنود، وفرسان الخيول، إن اقتضت الحاجة إلى ذلك وهو يحميهم ممن يتقفى أثرهم.)وكانت قبائل المخزن في بايلك قسنطينة تدعم قوات البايلك بـ ٢٢٠٠٠من المشاة و ٢٣٠٠٠٠من الفرسان الخيالة وينتمون إلى فئات ثلاث: المليشيا، والزمول، ودائرة المخزن.

و- فرق الزواوة

يعود تأسيس فرقة زواوة إلى حسن باشا بن خير الدين الذي شكل منهم فرقة عسكرية، وعهد إليهم أمر المحافظة على المدينة للحد من نفوذ الإنكشارية وتستدعي

فرقة زواوة للانضمام إلى الجيش الإنكشاري في حالات خاصة لإخماد الثورات أو المشاركة ضد الهجمات الخارجية على الجزائر، وليس لجباية الضرائب وكانت تمول بالذخيرة الحربية من قبل السلطة الحاكمة، عند انطلاق الحملة إلا أن قيمة الذخيرة تقطع من أجرة الجندي ، فبعد نقص توافد الجنود المتطوعين من المشرق أصبح عدد الإنكشارية قليل بالنسبة إلى مساحة البلاد، سعت من خلال ذلك الجزائر لاتخاذ مسلك ناجح لسد هذه الثغرة باتخاذ فرقة الزواوة كحلفاء في الحملات الكثيرة الداخلية أثناء الغارات الإسبانية على السواحل الجزائرية وفي القرن ١٦م كان الباشاوات يستعملون بصفة منتظمة الفرسان من الأهالي كجنود احتياطيين[ii]

II. الجيش البحري(رياس البحر)

لقد اهتمت الايالة الجزائرية بالجوانب العسكرية المختلفة مثلما نظمت جيشها البري وأولته العناية المميزة فقد كست أيضا اهتمامها بالجيش البحري والأسطول الذي كان يمثل سيادة الدولة ومحور قوة الجزائر العسكرية والسياسية في البحر الأبيض المتوسط وكان يشرف إداريا على البحرية وكان يرأسها وكيل الخرج وقد كان من ابرز الضباط في الجيش ومن جهة أخرى من الضباط الذين كانوا يأتون بعد وكيل وهو القائد الأعلى للأسطول البحري عند خروجه من الميناء إلى عرض البحر ثم يأتي بعده قائد الميناء كانت له في الايالة سفينة خاصة به يجوب بها المياه الإقليمية في مدينة الجزائر ليراقب شواطئها التي تدخل وتخرج منها ومن وظائف البحرية الأخرى واردیان باشي والذي يعتبر من ابرز الموظفين في البحرية و الجزائرية رياس البحر وهم رجال البحر الذين كانوا طليعة التدخل العثماني وكانوا يتألفون أساسا من الرياس مالكي السفن وكذلك البحارة وعمال الصيانة كالنجارين والجلافة وكان لهذه الطائفة دورا أساسيا في مصير هذه الايالة.

كانت التركيبة البشرية للبحرية الجزائرية غنية المشارب يوحدها الجهاد في سبيل الله.

وقد تكونت من خليط من العناصر المحلية يضاف إليهم بحارة من المشرق الإسلامي وآخرون قدموا من الأندلس وأعلاج أوروبا الذين دخلوا الإسلام .

وكان الشرط الضروري للانخراط في السلك البحرية الجزائرية اعتناق الإسلام، ويطلق على أولئك الذين يغيرون دينهم ويعتنقون الإسلام معظمهم من الأسرى اسم "العلوج"،وكانوا يتمتعون بجميع الحقوق التي يتمتع بها العثمانيون، وقد بلغ عدد الأعلاج المنتسبين إلى طائفة الرياس إلى ٢٢علجا في ق١٦م ،وساعدتهم المعارف والمهارات المختلفة التي يتمتعون بها على اعتلاء المناصب الإدارية والعسكرية ومن أشهر الأعلاج نذكر: حسن أغا بن خير الدين بالتبني وعلج علي حسن فنزيانو، وحسن قورصو.....،

ورغم أصولهم المختلفة: إغريق، إسبان، مايورقيون، نابوليتاني ونكورسيكيون، سردانيون، فرنسيون، إنجليز، هولنديون، إلا أنهم كانوا يشكلون حوالي ثلثي الشخصيات القيادية في الأسطول الجزائري، ومن أشهر رياس البحر في ق ١٦م عروج وخير الدين بربروس، درغوث رايس، وعلج علي وهؤلاء الرجال هم الذين أنشئوا إيالات الجزائر وتونس وطرابلس الغرب وأعطوها أشكالها السياسية والعسكرية

أ- تنظيم طائفة الرياس:

تحكمت طائفة الرياس منذ تواجدها في الجزائر بطريقة شديدة التنظيم من حيث التوظيف والتنظيم والتمويل والعمليات الحربية ولم تكن هذه الطائفة خاضعة خضوعا تاما للنظام الإداري بل كان لها حكم خاص، فهي بمثابة النقابة لربابنة البحر، كما كانت تتمتع بمحبة تامة واحترام كبير لدى الشعب وقد فتح الحكام الأبواب لكل من يرغب في الانضمام إلى البحرية الجزائرية شرطان يكون قد اعتنق الإسلام، وكان الوصول إلى المراتب العليا أمرا صعبا إذ يجب على البحار البسيط أن يتحلى بشجاعة كبيرة ومهارة عالية في إتقان فنون البحرية وكانت طائفة الرياس هي التي

تنتخب أميرال الأسطول الذي كان في الغالب أغنى أعضاء الطائفة وأفضل تدريب على الفنون البحرية، في إتقان استعمال المدفعية.

أولا : طاقم السفن والمراكب

لقد كانت السفن الجزائرية ولا سميا الكبيرة منها تضم طاقما معتبرا يتكون من ثلاث مجموعات رئيسية وهي:

١ – مجموعة القيادة:

وتضم الهيئة ضباط السفينة وهم :القبطان رايس وهو قائد السفينة، وباش رايس وهونائب القبطان، وصوصو رايس نائب ثاني، ورايس العسة أو الورديان: وهو مفتش المركب، والمشرف على صيانته، الخوجة وهو كاتب السفينة، وباش جراح، ورايس الطريق وهو قبطان الغنائم، والإمام المكلف بتطبيق شعائر الإسلام وترتيل القرآن على البحارة ورئيس المدفعين ...

٢ – مجموعة المناورة :

التي كانت تضم ربابنة السفينة وهم اليرقان جيو الغادر هو كابو والبريتاجي، وهو من يتولون أمر الأشرعة في السفن الثلاثية الصواري والدمانجي[iii]صلاح الدقة، والصندل رايس، رايس القارب، والمسترداش، معلم نجار، والقلفاط، الذي يسهر على بدن السفينة .

٣ – المجموعة القتالية :

تتكون أساسا من بعض وحدات الإنكشارية تحت قيادة أغا

الخلاصة :

في ختام هذه المحاضرة يمكن أن **نستخلص** ما يلي

- إن التنظيم العسكري بالجزائر خلال العهد العثماني كان يسير وفق قوانين مضبوطة وخاصة وهذا ما أعطى لها طابعا حكوميا جعلت من الجزائر سيدة المتوسط وقوة قاهرة ومحل رعب ورهبة للأمم والشعوب المسيحية لمدة تزيد عن ثلاثة قرون.
- أن النواة الأولى للجيش الجزائري كانت بحرية ويعتبر خير الدين اول من وضع أساسها.
- كانت الإنكشارية احد العناصر الأساسية لتثبيت أركان الدولة العثمانية ومصد قوة لها

أصبحت محل فوضى وشغب لما ترتكبه من ظلم ضد السكان وتورطها في المؤامرات

وقتل الحكام مما أدى بهم في نهاية المطاف إلى القضاء عليهم على يد الداي علي خوجة